هنـــــد أبـــــو الشعـــــــر
وإدارة العمـــل الأكاديمـــي والثقافي

د . ياسين أحمد السعود *

الإنسانة والأكاديمية الدكتورة هند أبو الشعر

هي كلمات من الوفاء ننسجها، وفي القلب حب وعرفان في حق زميلتنا الفاضلة القديرة الدكتورة هند أبو الشعر، ولمحة من يومياتها في عمادة كلية الآداب والعلوم، المليئة بالتجارب، وفنون القيادة والإدارة، وتربية الأجيال، إضافة إلى نشر العلوم من أوسع مناراته، ولقد كانت الدكتورة أبو الشعر في كليتنا سحابة عطاء سقت عطشها بعلم وإنسانية.

إن الحديث عن التجارب الشخصية ليست بحاجة إلى شخصيات فلسفية، ولا أساتذة نقد وبلاغة؛ إذ كل ما هو مطلوب، في اعتقادي، هو الأمانة في الحديث عن تلك التجارب، بلا زيادة أو نقصان.

* أستاذ الكيمياء في كلية العلوم ـ جامعة آل البيت.

وفي اعتقادي، أيضًا، أن الحديث عن التجارب الشخصية مع الآخرين، هي إضافة حضارية إنسانية لمجتمعنا، لذلك سأحاول الحديث عن تجربتي مع الدكتورة هند أبو الشعر.

كانت تجربتي مع الدكتورة ابو الشعر بمثابة محطات للتعلم استفدت فيها من خبرتها وعطائها، فهي كانت، بحق، بالنسبة لي، مدرسة في الإدارة والأخلاق.

وعندما عملت رئيسًا لقسم الكيمياء العام ٢٠٠٤، وكان ذلك خلال فترة عمل الأستاذة أبو الشعر عميدًا لكلية الآداب والعلوم (كانت تسمى هكذا آنذاك، قبل أن تنفصل العام ٢٠٠٥ إلى كليتين منفصلتين؛ كلية العلوم، وكلية الآداب)، ترسخت علاقتي بها، والتي كانت، وما زالت منذ اليوم الأول، علاقة احترام متبادل، تجمعنا روح أسرية أرست حجر الأساس فيها عميد الكلية الدكتورة هند أبو الشعر. وعند التعامل مع الأستاذة الإنسانة، وجدتها على مستوى عال في القيادة والإدارة، والتسامح والتواضع والإنسانية، فهي تحمل رسالة تقديس العمل، وتعطيه كل حياتها.

لقد علمتني تجربتي مع عميد كلية الآداب والعلوم الدكتورة هند أبو الشعر، الكثير من الدروس التي لا أزال أعمل بمضمونها، وأنا خارج نطاق الإدارة، فقد عملت عميدًا لكلية العلوم مدة ٤ سنوات، وقبلها عميدًا للبحث العلمي مدة سنتين.

ومن بين أهم الدروس التي تعلمتها منها، أنني لا أدعي لنفسي أن ما حققته من إنجازات كان بجهدي وحدي.

وتعلمت، أيضًا، منها الحوار، فهي تسأل وتنتظر الجواب، ثم تسأل وتنتظر الجواب، وهكذا، فهي ليست مثل المديرين الذين يتحدثون طوال الوقت، وكأنهم يطلبون من الآخرين الإنصات والتنفيذ وحسب!

ونتيجة لاختلاف تخصص الدكتورة أبو الشعر، لكونها مؤرخة وأديبة، في حين أن كلية

الآداب والعلوم التي كانت تديرها تضم تخصصات علمية، مثل الكيمياء، والفيزياء، والعلوم الحياتية، والرياضيات؛ لذلك كانت طريقتها في الحوار مدرسة، وأذكر أنها كانت تطلب مني الإفاضة في الحديث أمامها حتى تتضح لها الرؤية على نحو كامل، ولم يكن حوارها اعتباطيًّا أو لرفع العتب، بل كان واضحًا حرصها على فهم الأمور بعمق، وهذا في اعتقادي كان شيئًا رائعًا.

حتى ثناؤها على الآخرين لم يكن ذلك مبتذلًا ـ كما تعودنا ـ فقد كانت تثني على عملي وإدارتي قسم الكيمياء بقولها: «د. ياسين أنت بتعجبني لأنك هادئ»، وهو ما كان يحفزني على العمل والإنجاز، وبهذه الكلمة وحسب.

لقد تعلمنا من مبدعتنا الدكتورة هند أبو الشعر أهمية تطبيق مبادئ الالتزام، وبناء جسور الثقة، وتقدير الإنجازات، والعمل، جنبًا إلى جنب، مع رؤساء الأقسام والإدارة، بغية تحقيق النتائج والنجاح، وكيفية تهيئة الأجواء، حتى أصبح العمل الجماعي هو القاعدة، بعيدًا عن التراتبية والتفريق بين رئيس قسم وعضو هيئة تدريس وإداري، بل أصبح الجميع يرون أنفسهم فريقًا واحدًا لتحقيق هدف واحد.

ونستذكر هنا الدكتورة أبو الشعر عندما كانت تجتمع مع موظف أو طالب؛ إذ كانت تتصرف كموجه، وتحترم شعور الجالس أمامها، وبلهجة داعمة تسأل عن مشكلاته، وتستمع إلى رده، وترد بملحوظات محددة تكشف عن معالم شخصيتها المتواضعة.

لقد تعلمنا من الدكتورة أبو الشعر كيفية توفير مناخ العمل الناجح في كليتنا، الذي يعزز من مستوى العاملين ودوافعهم، كما تعلمنا منها القدرة على الاستجابة للتغيير، والتنبؤ بالمتغيرات ومحاولة التكيف معها، معتمدة على المرونة والثقة والتفاؤل والإبداع، والقدرة على التواصل مع الطلبة وأعضاء هيئة التدريس، والهيئة الادارية.

أما عن تعاملها مع الطلاب، فكانت إنسانة وأكاديمية تحب طلابها وتعاملهم بود واحترام، حريصة على مصلحتهم العلمية والشخصية، لم تحل الجدران دون مساعدتهم وإرشادهم؛ لأنها إنسانة بحق، تترجم للجميع أن المدرس، سواء أكان عميدًا أم رئيس قسم أم عضو هيئة تدريس، هو أب وأم لطلبته قبل أن يكون مدرسًا، وبذلك فهي تترجم مبدأ القدوة لهم.

فطوبى لمربية سطع نجمها في سمائنا فأضاءت طريق الخير والعلم والمحبة لكل من حولها، فقد كانت الدكتورة هند أبو الشعر، وما زالت، نجمة براقة لا يخفت بريقها لحظة نسعد بلمعانها في سماء العلم والأدب، فهي كنجم يدلنا ويمنحنا إشارات للطريق الصحيح، فاستحقت، وبكل فخر، الاحتفاء بها، تقديرًا وتكريماً لجهدها الذي لا ينضب .

إن العمل الإداري ليس مجرد تشريف، ولا منصب للتفاخر، بل هو تكليف وأمانة، وأنتِ قد أثبتِّ أنّك قادرة على تحمل المسؤولية والأمانة بكل إخلاص، والعمل والتعليم هما ما يرفع بلدنا إلى أرقاه، فقد كنتِ من خيرة من تولى منصب عمادة كلية الآداب والعلوم، فشكراً لك على جهودك العظيمة، ومساهمتك في بناء وتطوير ورفعة الكلية، خلال فترة إدارتك للكلية؛ إذ إن تلك الفترة لها في ذاكرتي أنا شخصيًّا مساحة خاصة.

وعندما نبحث عن كلمات شكر وتقدير، فإن أجمل العبارات لا بد أن تسبق حروفنا وتنهي سطورنا، معبرة عن صدق المعاني النابعة من قلوبنا، وعندما نقول كلمة الحق أو نتوجه بعبارات الشكر والتقدير، فذلك ليس من باب المجاملة، لكن اعترافًا منا بالجميل، فألف تحية شكر وإجلال لشخص الدكتورة أبو الشعر المحترمة، فقد كانت أنموذجًا يحتذى به، ومثلًا أعلى للعاملين كافة.

إنني أسعد ما يكون اليوم بحضور الحفل المقام برعاية مؤسسة عبد الحميد شومان، هذه المؤسسة التي حرصت على الدوام أن تكون في طليعة من يعملون لخدمة الثقافة العربية،

إضافة إلى أن هذة المؤسسة منارة للمعرفة والإبداع في الأردن والوطن العربي، وليس بغريب عليها أن تكرم الدكتورة هند أبو الشعر، تقديرًا لها على جهودها المبذولة ومسيرتها المشرفة. وللدكتورة أبو الشعر منا أجمل التهاني وأطيب الأماني، تقديرًا وامتنانًا لعطائها الدائم، وعرفانًا بفضلها الجليل، بأسمى كلمات الشكر والعرفان، نظير ما قدمته من خدمات غاية في التميز والإتقان، ونظير جهودها الكبيرة والملموسة، إلى جانب بصماتها التي تركتها خلفها؛ لتشهد على نجاح عملها. وكلمة شكرًا هي أقل ما يقال لقاء هذه الجهود والأعمال، فمجددًا، شكرا لكِ.

شكرًا عميدتنا على كل قيمة تعلمناها منك، وعلى كل قيمة منحتها لنا بكرمك...شكرًا من القلب لمن مهد الطريق أمامنا ...شكرًا لأني تعلمت منك أن للنجاح قيمة ومعنى ...ومعك آمنت أنه لا عوائق في طريق الإبداع... فأنت أهلٌ للشكر، فوجب علينا تقديرك ....فلك منا كل الثناء والتقدير.